فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

(تفسير سورة فاطر آية 1الى 10)

(باللهجة المصرية)

لفضيلة الشيخ : أحمد عبد المنعم

رابط المـادة : http://way2allah.com/khotab-item-104056.htm

الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لا نبي بعده محمد –صلّى الله عليه وسلم–، بإذن الله عز وجل نستفتح اليوم سورة فاطر، نبدأ في تفسير سورة فاطر، نسأل الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم سبحانه وتعالى، و أن يرزقنا فهم كتابه و العمل به، و أن يرفعنا بالقرآن في الدنيا و الآخرة.

تسلسل السورة المكية و المدنية

هذه السورة العظيمة سورة فاطر إستكمالًا للشوط المكي إلي إحنا ماشيين فيه، اللي بادىء من أول سورى سبأ و بيستمر هذا الشوط الطويل اللي من أول سورة سبأ و بعدين فاطر و ياسين و الصافات، و ص والزمر وبعدين آل حم المتصلة ورا بعضها، السبع سور المتصلات آل حم، غافر، وفصلت، و الشورى، و الزخرف، و الدخان، و الجاثية و الأحقاف، إلى هذا الشوط الطويل المكي اللي بينتهي عند سورة محمد –صلّى الله عليه وسلم–، السورة المدنية، و بعدين سورة الفتح، ثلاث سور مدنية متصلات، محمد، الفتح، الحجرات، وبعدين شوط تاني مكي، من أول سورة ق، إن أعطانا الله عز وجل و من علينا، بالحياة و البقاء و اللقاء و قدر لنا إن إحنا نكمل في التفسير هنشرح إن شاء الله الترابط بتاع هذه السور، و ليه الشوط الطويل المكي ده و بعدين، الشوط المدني ده.

سورة فاطر سورة مكية

سورة فاطر زي ما بنقول سورة مكية، من السور المفتتحة بالحمد، الخمس سور المفتتحة بالحمد، الفاتحة، و الأنعام و الكهف، و سبأ و دي السورة الخامسة و الأخيرة، سورة فاطر، هذه السورة سورة عظيمة، تتحدث عن قدرة الله المطلقة في أكثر من طريقة، و كل سورة لما بتتكلم عن ربنا سبحانه و تعالى بتتكلم بتتناول شيء معين من القدرة، فهنشوف و إحنا مع بعض بإذن الله عز وجل عايزين نسيب نفسنا نعيش مع الآيات عشان المعاني الإنسان هو اللي يعيشها، هو اللي يكتشفها، هو اللي يخلي القلب يذوق هذه المعاني.

كل خير يرجع إلى الله و الشر ليس إليه

بسم الله الرحمن الرحيم " الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" فاطر2:1، تفتتح هذه السورة بالحمد لله، والألف اللام إتكلمنا عنها كثير، سواء في الأنعام أو في سبأ، الإستغراق الحمد كله لله، أي فعل في هذا الكون من خير فهو يرجع إلى الله سبحانه و تعالى، الخير كله إليك، الخير كله بيد الله سبحانه وتعالى، الخير كله بيد الله و كل إلى الله،

والشر ليس إليه سبحانه وتعالى، كل أفعال ربنا سبحانه وتعالى هو أهل لأن يُحمد سبحانه وتعالى، كل سورة قلنا إتكلمنا عن مسألة، كل سورة سواء الحمد على الربوبية، الحمد على الخلق، الحمد على القرآن، الحمد على الملك، هنا الحمد على شيء هنشوفه مع بعض كده بإذن الله عز وجل.

الفطر هو بداية الشيء

يقول الله عز وجل "الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ"، هنا ربنا سبحانه وتعالى في سورة الأنعام، "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ"الأنعام:1، إتكلم عن الخلق، هنا إتكلم عن الفطر، يعني إيه فاطر السماوات و الأرض، قالوا فاطر السماوات و الأرض أيضًا بمعنى الخلق، لكن كلمة فاطر فيها معاني زيادة منها أنه من غير مثال سابق، يعني بتزود وضوح أنه من غير مثال سابق، ومنها بدايات الخلق، دايمًا الفطر فيه معنى البداية، بداية الشق، لذلك الانفطار قبل الانشقاق، الانفطار بديات لانشقاق السماء، إذا السماء انفطرت، قبل إذا السماء انشقت، و ده اللي بيحصل، لذلك الواجبة أول واجبة بتنزل المعدة الصبح إسمه إيه الفطار، اللي هي الفطور لأن دي أول حاجه بتنزل، و بدايات شق النبتة الأرض بيقول فطر النبات الأرض، و لما الكائنات البدائية كانوا بيسموها الفطريات، الفطر هي بدايات الشق، دي أول لحظات الخلق، يبقى إحنا في معاني كتير و ده من إعجاز القرآن أنه يستعمل كلمة واحدة تدي أكثر من معنى.

الفطر هو الخلق من غير مثال سابق

يبقى قلنا الفطر فيها معنى الخلق، فيها معنى غير مثال سابق، فيها معنى البداية، دي لحظات بدايات الخلق، لذلك الإنسان بنقول الفطرة، اللي على الفطرة يعني على بداية خلقه كما هو، يعني الإنسان قال النبي –صلّى الله عليه وسلم–"كلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفطرةِ ، فأبواه يُهَوِّدانِه ، أو يُنَصِّرانِه ، أو يُمَجِّسانِه ، كمثلِ البَهيمَةِ تُنْتِجُ البَهيمَةَ ، هل ترى فيها جَدْعَاءَ" صحيح البخاري، يعني لحظات الولادة البداية دي، دي الفطرة لأن دي البداية فالمقصود بكلمة الفطرة، غير المعنى الشرعي للفطرة و ده مختلف فيه اختلاف طويل بين العلماء، هل هو الإيمان أو القدرة على الإيمان، ولا ملائمة الإنسان للإيمان، ولا لو ترك، المقصود أنه لو ترك بدون تأثير هينشأ على الإيمان، وده أقرب الأقوال، الشاهد الفطرة المعنى بقا اللغوي بتاعها البداية اللي نزل عليها الإنسان، البدايات بتاعت الإنسان، فالفطرة بنقول فيها معنى البداية، بداية الشق.

الخلق من الداخل هو قدرة الله وحده

طيب بنقول فاطر فيها خلق السماوات و الأرض على غير مثال سابق، إبتدأ ذلك سبحانه وتعالى من عدم، أيضًا من معاني الفطر ودي نقطة مهمه أوي كنا ذكرناها في تفسير سورة الأنعام أيضًا، إن الله عز وجل خلقه سبحانه و تعالى معجز، في صفات لخلق ربنا سبحانه وتعالى، الإنسان لما يجي يحب يبني حاجة، عايز يبني مسجد مثلًا،

بيعمل إيه يجيب مكونات ومن المكونات دي يبني بيها المسجد، يجيب طوب و رمل و و، وحديد و حاجات، و بعدين يبني بالمكونات دي يحطها يكون المسجد، ده عرف الإنسان، ربنا سبحانه وتعالى لما خلق السماوات و الأرض خلقها إزاي؟ ما جابش مكونات برا و جمعها، لا سبحانه وتعالى، هنا يدل على الخلق بقا ودي كلمة فاطر، كانتا "كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا"الأنبياء:30، فالفطر من معاني الفطر يعني الخلق لكن من الباطن مش من الظاهر يعني إيه؟ يعني تخيل لو الإنسان لما يحب يبني مسجد و ده مستحيل ده قدرة ربنا بس، مثلًا تخيل الطرابيزة دي ينشأ منها المسجد يطلع من جوا، طب كان فين المسجد كان جوا، جوا دي بتاعت ربنا بس، إنك تجيب البذرة، الشجرة دي كانت فين كانت جوا البذرة، فخلقها من الداخل للخارج، المني شوف البويضة لما تفطر وتشق بالحيوان المنوي و تكون بقا العلقة دي، و خلاص تتعلق بالرحم، أو المضغة دي، و بعد ما تتكون و يبدأ ينشأ الإنسان، بينشأ من الدخل للخارج، كان فين ده بقا؟ ده قدرة ربنا سبحانه وتعالى ده الخلق.

انظر مما خلقت و لا تغتر بنفسك

لما النبي –صلّى الله عليه وسلم– بصق في يده و قال "يقولُ اللهُ تعالى : يا ابن آدمَ ! أنّى تُعجزني وقد خلقتكِ من مثلِ هذهِ ، حتّى إذا سويتُكَ وعدّلتكَ مشيتَ بين بردينِ وللأرضِ منك وَئِيدٌ ، فجمعتَ ومنعتَ ، حتى إذا بلغتْ نفسكَ هذهِ – وأشار إلى حلقِهِ – وفي رواية : حتى إذا بلغتِ التراقِيَ قلت : أتصدّقُ ، وأنّى أوانُ التصدّقِ ؟ "حسنه الألباني، تخيل مشهد هذه البصقة، ده كان أصل الإنسان، خرج منين العظم و منين الروح، و فين المشاعر وفين الضحك و فين البكاء، ده كان فين داخل ده قدرة ربنا المطلقة، ففاطر السماوات و الأرض أخرج هذه العجائب و السماوات بإتساعها و الأرض و مافيها، من أشياء من العدم، وبعدين لما أخرجت من العدم كانت جزء متصل رتق و فتق و بعد ما حصل الفتق، بدأ يحصل الفطر ده إن هي تكبر تكبر، ده الخلق، فعندنا خلق ربنا يتسم بحاجتين و هو ده التحدي بالخلق، عشان ما يجيش واحد، يجيب خلية و يستنسخها و يعملها و يحطها في الدنيا إن إيه،و يخليها و يحطها في حته تانيه ويقول لك أنا كده خلقت، ده جهل ده بيضحك على الناس، هو ما عملش حاجه هو استغل الأدوات، و المخلوقات اللي ربنا خلقها، و الإمكانيات اللي ربنا أودعها في هذه الخلية استغلها فدور الإنسان هنا هو مجرد الإكتشاف و التنسيق، غالب دور العلم هو مجرد اكتشاف القوانين اللي ربنا وضعها في الكون، ده غالب دوره و التنسيق ده لخروج أشياء هو يريدها.

إعجاز الله في خلقه

و بنقول أن الخلق عند ربنا سبحانه وتعالى من صفات الخلق، يتسم بحاجتين وده اللي معجز بالنسبة للإنسان، طبعًا أول حاجة اللي قبل الإتنين دول الإنشاء من العدم، إن الإنسان لو طُلِب أن من العدم كده يجيب حاجة ما يعرفش، و لو ذبابة ما يعرفش، بنقول أن خلق بقا هذه العملية بتمر بحاجتين، الفطر و الاتساع، يبقى عندنا ثلاث حاجات، الخلق من العدم، و الفطر إنه يبقى بيكبر من الداخل للخارج، الثالثة الاتساع اللي هي التربية التدريجية، الثلاثة ابتدأ بهم سور في القرآن"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" الأنعام:1، دي الخلق من العدم، الثانية " الْحَمْدُ لِلَّهِ

فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" إن بعد ما اتخلقت تفطر تشق و تبدأ تكبر من الباطن للخارج، تكبر دي الربوبية " الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" الفاتحة:2، دول الثلاث السور اللي افتتحوا بالحمد في عملية الخلق.

الكون كله يتسع و يكبر

الاتساع، "وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ" الذاريات:47، الكون كله بيكبر في اتساع، النبتة بتكبر الحيوان بيكبر الإنسان بيكبر، ثم بعد كده ممكن يمر بمرحلة تانية و يموت، يرد إلى أرذل العمر "يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ۚ"الأنبياء:104، شوف أول الأنبياء في بداية الخلق "كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا" وآخر الأنبياء الكون يتقفل تاني، فالكون كله يربوا بيزيد، إنت بتكبر، الحيوانات بتكبر، السماوات بتتسع، حتى الجمادات بتلف، هذه الحركة تحتاج إلى الله في كل لحظة، و زي ما هيجيلنا معانا في السورة، يبقي إذًا السورة هنا بدأت بالفطرة، و هذه الفطرة اللي هي بداية خلق الإنسان، وبداية خلق السماوات و الأرض، وقدرة ربنا المطلقة على الخلق بهذه الطريقة التي لا يفعلها إلا هو سبحانه وتعالى، فاطر السماوات و الأرض.

خلق الله السماوات و الأرض لأمرٍ جلل

يبقى بنقول الخلق من عدم بيكبر من الباطن للظاهر دي ما حدش يعرف يعملها إلا ربنا سبحانه وتعالى، الثالثة الإتساع و النمو، إنه يخلي الحاجة تكبر و في كل لحظة بتكبر تحتاج إلى ربنا سبحانه وتعالى، دي ربوبية ربنا سبحانه وتعالى، الله عز وجل خلق السماوات و الأرض لأمر جلل، للعبودية، الله عز وجل خلق السماوات و الأرض لأمر جلل، لذلك لما في الأنعام قال خلق السماوات و الأرض على طول بعدها قال إيه و جعل الظلمات و النور، في خير و فيه شر، هنا بردو لما قال فاطر السماوات و الأرض "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"الذاريات :56 ، قامت السماوات و الأرض لأمرٍ جلل لعبادته سبحانه وتعالى، الملائكة بتتلقى الأمر مباشر من ربنا، الإنسان يحتاج إلى رسول، يحتاج إلى رسول بينه و بين الله، فكانت الملائكة رسل، زي سيدنا جبريل كانت الملائكة رسل، بين الله و بين الأنبياء، و كان الأنبياء رسل بين الله و بين العباد.

التنوع في الخلق

يبقى من أول لحظة أن جاعل الملائكة رسلًا، في ملائكة بتحمل رسالات من الله عز وجل لأشياء مختلفة، قيل هنا رسل بقا سواء في الأمور المادية، الرزق، المطر، أشياء معينة، أو الأشياء المعنوية الوحي، تسديد المؤمن، أنه يوفق المؤمن لشيء أنه تحيط أهل العلم، إن هي تسدد الإنسان المؤمن، يبقى سواء في الأمور المادية أو الأمور المعنوية، الله عز وجل يجعل الملائكة رسل، " أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ"، هنا قدرة ربنا مش بس على الخلق، هنا قدرة ربنا على التنوع في الخلق، و دي من الملامح العظيمة في هذه السورة، هنجد أن قضية التنوع في الخلق كتير جدًا في سورة فاطر سواء الألوان الجبال المختلفة، ألوان الإنسان المختلفة، ألوان الأرض

المختلفة، البحر الميه منها عذب قرات سائغٌ شرابه و ملح أجاج، التنوع في هذه السورة حتى أهل الإيمان هنا التقسيم الثلاث درجات بتاعتهم، الظالم لنفسه، و المقتصد، و السابق بالخيرات، التنوع في الخلق موجود بكثرة .

قد تكون المخلوقات واحدة و لكن فيها تنوع

في هذه السورة، الله عز وجل هو الذي فعل ذلك لحكمة، يبقى مش بس هنا الكلام على الخلق، ده الكلام على إيه، على التنوع في الخلق و إن كان الأصل بيبقى واحد، فربنا بيقول لك أن ربنا سبحانه و تعالى عنده قدرة، يعني الملائكة أصلها واحد، و الوظيفة ربنا جاب نموذج من المخلوقات الملائكة، المخلوق واحد، الوظيفة هنا إيه جاعل الملائكة، و الوظيفة واحدة، و بالرغم من ذلك قدر الله التنوع مثنى و ثلاث ورباع، فقد تكون المخلوقات واحدة و تقوم بنفس الوظيفة لكن يكون فيها تنوع، ده في كل شيء، أن مثلًا حتى ما بين البشر، الأطباء، الدعاة أنه نفس المخلوق بنفس الوظيفة، لكن ربنا سبحانه و تعالى يقدر أن في تنوع و تفاضل بينهم، حتى من الأنبياء، حتى من الأنبياء " تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ" البقرة:253، يبقى إذاً قدرة ربنا على التنوع المطلق اللي إنت بتشوفه، مين اللي عمل ده في الكون؟ ربنا سبحانه و تعالى، و هنشوف إيه مردود الكلام ده اللي أنا بقوله طول ما إحنا ماشيين مع بعض في السورة.

التفاضل في الخلق بحكمة الله سبحانه وتعالى

يبقى قدرة ربنا المطلقة مش بس على الخلق، قدر ربنا المطلقة إن بعد ما فطر الشيء الواحد حصل فيه تنوع بعد ما خلقه حصل فيه تنوع، بالنسبة للتنوع بتاع الملائكة ربنا اللي جعله، " جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ"، هنشوف لما نيجي نتكلم على التنوع بتاع الإنسان و اختلافه في قضية الإيمان و الكفر، و الهداية و الضلال، إيه السبب فيه، " يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ" يعني إيه يزيد في الخلق ما يشاء هنا؟ قيل لو الموضوع بالنسبة للملائكة أنه يزيد في الخلق ما يشاء أن الله عز وجل أعطى للملك الفلاني زيادة على الملك الفلاني بحكمته سبحانه وتعالى، يعني يزيد في الخلق ما يشاء أي أن الله يعطي هذا الملك أجنحة أكثر من هذا الملك كيفما شاء، يعني يزيد في الخلق ما يشاء، يزيد في إعطاء الملائكة أجنحة على ملائكة أخرى كيفهما شاء، يعني التفضيل اللي بنشوفه في البشر حتى بعض، كتير من المفسرين حمل كلمة يزيد في الخلق على كل حاجه، قال في الزكاء، في طريقة الكلام، في طريقة المشي، في أي شيء، في الصوت في حسن الصوت، أي تفاضل بين البشر ربنا اللي بيفعله سبحانه و تعالى، يزيد في الخلق ما يشاء قيل ما من معانيها زي ما بنقول أى تفاضل، سواء بين الملائكة أو بين البشر، أو بين المخلوقات مين اللي عمله ربنا سبحانه وتعالى، يبقى لما تشوف أى تفاضل إحمد الله عز وجل، ولو ربنا فضلك بشيء إحمد الله عز وجل على هذه النعمة،" يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ" .

يفعل الله ما يشاء في هذا الكون

قيل إذا كان في ملائكة عندها أجنحة قليلة، الله قادر أنه يزيدها، أو يزيد في الخلق ما يشاء هذه الأجنحة ليست لها نهاية، الله عز و جل لو أراد أنه يزيد فيها يفعل ما يشاء، معناها أن الزيادة في الخلق غير متناهية، يفعل الله في ملكه ما يشاء سبحانه وتعالى، ربنا لو أراد أنه يخلي فلان قوي هيخليه قوي، لو أراد أنه يخلي فلان ضعيف هخليه ضعيف، لو أراد أنه يخلي فلان يهديه بعد أن كان ضال، المهدي يصلحه الله في يوم و ليلة، يفعل الله ما يشاء في ملكه من زيادة أو نقص، يزيد في الخلق ما يشاء ختام الآية "إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ".

القرآن يغذي عقيدة الإنسان

معلش هي السورة صعبة و دايمًا السور اللي يندر فيها القصص و يبقى الكلام فيها غالبه معرفة الله سبحانه وتعالى، هي تحتاج إلي قلب أكثر منها تحتاج إلي عقل، "يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"، آية من أول آية كده في سورة فاطر تخلي قلبك متعلق بالله، هو اللي خلق، هو اللي فطر، هو اللي نوع، هو اللي بيزيد، هو يفعل ما يشاء ، هو على كل شيء قدير، يعني من أول آية في السورة أعلى أنواع التوحيد هتلاقيها في السور بتاعت معرفة الله، زي فاطر، والرعد، و الأنعام، و ده الفارق ما بين كتب العقائد المحطوطه البشر اللي كاتبينها عشان الناس لا تضل، كتبينها كحدود حتى يفصلوا للناس بين الحق و الباطل و دي ليها أهمية أن ضبط معتقد الإنسان حتى لا يسقط في الباطل، و بين القرآن اللي بيغذي هذه العقيدة، فارق ما بين الغذاء و المضادات الحيوية، الكتب دي مضادات حيوية أو حواجز حتى لا يسقط الناس في الضلال، بتبين له و ملتقطة أيضًا من آيات من القرآن و السنة، لكن القرآن بيغذي هذه العقيدة، ينمي هذه العقيدة.

إترك قلبك يشرب معاني السورة

فإنت لما تسيب قلبك يشرب معاني سورة فاطر تجدك مطمئن بالله، راضي بالله، عايش مع هذه الأسماء و الصفات، "إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ"، على دي تمكن "كُلِّ شَيْءٍ" مطلقًا "قَدِيرٌ" يفعل ما يشاء سبحانه و تعالى، طيب ده بالنسبة للخلق، مش بس خلق ده بدايات الخلق من غير مثال سابق، عن طريق الفطر و فيه تنوع دي آية، الآية الثانية بتتكلم في الرزق، مش بس في تنوع في الخلق ده كمان في تنوع في الآيه؟ في الرزق، الآية الثالثة بتجمع الإثنين " هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم"، الخلق والرزق، الآية الأولى التنوع في الخلق المطلق، الآية الثانية التنوع في الرزق، الآية الثالثة الجامع بين الإثنين و أن الذي يملكهما هو الله فهو المستحق للعبادة.

عطاء الله سبحانه و تعالى هو عطاء متدفق

آية 2 " مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" فاطر:2، آية لو استقرت في قلب الإنسان يعيش مطمن، كل حاجه بإيد ربنا، كل حاجه من أصغر شيء لأكبر شيء، أي شيء في الكون بإيد ربنا سبحانه وتعالى، إنك تترقي في وظيفتك إنك ترزق بولد، إنك تسعد في هذه اللحظات أي شيء مما يسمى رحمة، و هنا عشان كده جت نكرة، "مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ"، أي جزء فيه

رحمات في الكون هو بإيد ربنا سبحانه و تعالى خد بالك من التعابير القرآنية، ما يفتح ما قالش ما يعطي قال ما يفتح، وكأن الله عز وجل لما بيعطي بيعطي عطاء يغضق الإنسان، كأن كان باب مقفول و إتفتح، فلما ينزل، ينزل عطاء متتالي شلال متدفق من العطاء، " أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا"عبس:25، يعني متدفق ده عطاء ربنا سبحانه وتعالى.

النفع و الضر بيد الله وحده فتوكل عليه

ما يفتح الله أي فتح في الكون هو بيد الله، " مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا"، لو أراد الله أن تصل رحمته سبحانه وتعالى، لو أراد الله سبحانه و تعالى أن تصل رحمته إلي من يشاء من عباده لوصلت، في أتعس الأماكن و أضيق الأماكن تصل الرحمات، وجدها إبراهيم عليه السلام في النار، و قال حسبي و نعم الوكيل، و سيدنا يوسف في السجن و النبي –صلّى الله عليه وسلم– في الغار، و يونس في بطن الحوت، أي مكان تصل فيه الرحمات لن يمسكها أحد، أي ظروف مش هتمنع من وصول الرحمات إليك، تجد أحيانًا إنسان فقير و معيشة ضيقة جدًا و ابتلاءات و بالرغم من ذلك تجد الرحمات تصل إلي قلبه، إيه اللي خلاه سعيد؟ إيه اللي خلى الغني تعيس في اللحظات دي، مين اللي خلاه مضايق" وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا" النجم44:43، سبحانه وتعالى، " مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ"، مافيش بني آدم و لا قوة على الأرض تمنع وصول الرحمات إليك، لو أراد الله سبحانه وتعالى " يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ ، احفَظِ اللَّهَ يحفَظْكَ ، احفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ ، إذا سأَلتَ فاسأَلِ اللَّهَ ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللَّهِ ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ لَكَ ، وإن اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللَّهُ عليكَ ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ" صححه الألباني، و ما يمسك هنا جمال العبير القرآني ما قالش و ما يمسك من رحمه، لما جه الإمساك ما قالش كلمة رحمة، و كأن الغرض هنا أن هذا الإمساك هو خير لك أيضًا.

إعلم أن العطاء و المنع بيد الله وحده

لو يعلم المؤمن زي ما قلنا المؤمن معاه المفتاح اللي يحول السراء لخير و الضراء لخير، السراء إن شكر خير له، و الضراء إن صبر كان خيرًا له، و ما يمسك لو منع الله عز وجل رحمة أو منع عافية أو منع رزق، أو منع سعادة، أو منع الولد، أو لو منع أي مال أي شيء عن الإنسان و الله لن يصل إليه، لو أهل الأرض إجتمعوا عشان يوصلولها له مش هتوصل، آية تخلي القلب هو التوحيد النفع و الضر، التوحيد ده لو إستقر في قلبك تسعد، التوحيد بيجيب السعادة، زي بالضبط قول النبي –صلّى الله عليه وسلم–، زي ما بيعملنا في الصلاة بعد سمع الله لمن حمد ربنا و لك الحمد بتقول إيه، "أهل الثناء و المجد أحق ما قال العبد" يعني أكثر كلمة هي حقيقة، يعني ممكن تقول كلام في مجاز، ممكن تقول والله إنت أكثر واحد أنا بحبه ممكن الكلمة دي يبقى فيها مجاز، تجوزت ممكن يبقى فيه حد تاني بتحبه لكن إنت قصدك هنا إيه بتحبه كتير، النبي –صلّى الله عليه وسلم– بيقول أكثر كلمة لو قلتها تبقى صادق، أحق كلمة في الوجود، أحق ما قال العبد و كلنا لك عبد، إيه بقا الكلمة دي اللي هي أحق كلمة في الوجود، اللهم لا مانع لما أعطيت و لا معطي لما منعت و لا ينفع ذات الجد منك الجد، اللهم لا مانع لما

أعطيت، لو أراد الله أن يعطيك شيء سيعطيك إياه، لو الأرض كلها وقفت عشان تمنعك الشيء ده هيوصلك هيوصلك.

ما معنى كلمة عقيدة

هذه الحقائق هي التوحيد، الحقائق دي لو تحولت إلي عقائد، يعني إيه عقائد العقيدة حاجه مربوطة في القلب، ما تضيعش، في زحمة الأحداث، مع الإبتلاءات و المشاكل ما تضيعش، يعني أنت تعتقد أن فلان مثلًا هو أبوك، هو ضربك هو لسه أبوك، الإبتلاءات مش هتغير، فلله المثل الأعلى أنت معتقد أن الله سبحانه وتعالى يملك النفع و الضر، حصل مشاكل الإعتقاد ده ما بيروحش عند المؤمن، سيدنا إبراهيم في الهواء، و إعتقاد أن الله عز وجل يملك النفع و الضر ما راحش، في الهواء بيقول حسبي الله ونعم الوكيل، لحظات و يسقط في النار و العقيدة ثابتة، هي دي العقيدة إللي إحنا عايزنها في قلبك الإنسان ما تتغيرش مع الأحداث، اللهم لا مانع لما أعطيت و لا معطي لما منعت.

رزقك من كل شيء مكتوب عند الله

طيب لذلك ختام الآية عجيب أوي و هو إيه، "وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"، العزيز الذي لا يغالب يعني لو مسك رحمة لن يستطيع أحد أن ينزعها، لو الله عز وجل قضى أن فلان يهزم لن ينصر، الله لا يغالب عزيز، و حكيم هذا المنع يكون بحكمة، و هذا العطاء يكون بحكمة، أنا عايزك تتخيل الشبكة المتداخلة بتاعت الرزق، حاجه تخلي العقل يطيش، إحنا هنا مش بس بنتكلم على الرزق، إحنا هنا بنتكلم على هنا على إيه كمان على تنوع الرزق، مش بس بنتكلم على الرزق إحنا بنتكلم على تنوع الرزق، و تنوع الرزق ده في تفاضل وفيه درجات، مثنى و ثلاث ورباع، عايزك تتخيل كل واحد في الكون هيوصله رزق بكمية محددة، هيوصله إزاي مع اللي جنبه بكمية أقل، واللي بعده كمية أعلى و هيحصل تداخل و تنوع و هيجيله كام رزق في اليوم و كان رحمة هتوصله في اليوم، و هتوصله إزاي هذا التداخل المبهر في الرزق من الذي يدبره؟ الله سبحانه وتعالى، يعني تخيل كده أنت كل يوم مقسوم لك من السعادة كذا و من المال كذا، و من أي شيء من أنواع الرزق، و من الطاعة، مقسوم لك كذا مع اللي جنبك مع الزيادة مع النقصان، مع التغير اليومي شبكة الرزق، شبكة مذهلة الذي يدبرها هو الله سبحانه وتعالى.

إذا أراد الله أمرًا فإنه يلطف بعباده

الإستقصاء أنك تقعد تتدبر كدا، إزاي إنت وصلت هنا و إزاي ربنا لطف بيك زي ما سيدنا يوسف بيقول "إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ"يوسف:100، لما ربنا يشاء شيء يلطف بالإنسان لغاية لما يوصل للمرحلة دي، تقعد تفكر إزاي سيدنا يوسف خرج من عند أبوه و إزاي راح إتباع، و إزاي دخل السجن، أو إزاى دخل القصر وبعدين إزاي دخل السجن، و بعدين إزاي طلع، و إزاي راح الملك، و إزاي جاب إخوته، هذا التغيير المطلق بلطف لا يكون إلا من عند الله سبحانه وتعالى، "وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ".

هل تعلموا خالق غير الله لتعبدوه؟

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ"فاطر:3، يا أيها الناس، نداء للناس بعد المقدمتين دول، هذه المقدمة المفروض أنه لا ينازع فيها أحد إلا حسالة متأخرين اللي هما الملحدين، إنما كان المشركين لا ينازعون في هذا، فبُدأ معهم بالشيء اللي لامنازعة فيه، بُدأ معهم ، لان لما كانوا يتسألوا من خلق السماوات و الأرض كانوا يقولوا الله، فبُدأ معهم بالذي لا منازعة فيه، أن الله الخالق، أن الله الرزاق، فبيناديهم " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ"، إقعد إفتكر كده راجع مع نفسك إذكرها باللسان و بالعقل و بالقلب و بالجوارح، "اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ"، هل سؤال " هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم"، الجمع بين الخلق و الرزق في الآية دي، ليه ما قالش هل من رازق، لأن الرزق ده مخلوق هو مش جي كده، يعني رغيف العيش اللي وصلك ده مخلوق مش معنى إنك جبته من الفرن إن هو موجود متداول، لا ربنا خلق المكونات بتاعته، كثرة التداول الأسباب بين الناس وبعضها نست الناس الحقائق، أن الله عز وجل هو الذي خلق كل شيء في الوجود.

كل رزق يصل إليك هو من الله

فكل رزق هو مخلوق، الولد مخلوق، المال مخلوق كل حاجه ربنا اللي خلقها، فربنا بيذكرك أن كل رزق وصل لك ربنا اللي خلقه، وربنا اللي قدر أنه يوصل لك، "هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ"، تعرفوا حد بيرزقكم غير ربنا، تعرفوا حد خلق السماوات و الأرض غير ربنا، تعرفوا حد بينزل الأمطار غير ربنا، طب طالما ما تعرفوش حد بيعمل كده، زي ما سيدنا إبراهيم كان بيناظر النمرود و بيقول له ربي يحيي و يميت، و ربي يأتي بالشمس من المشرق، ربي يفعل كذا و كذا، طب إنت بتعمل إيه، إنت بتقول لهم إن إنت ربهم بتعملهم إيه، فرعون بيقول لهم أنا ربكم الأعلى، طب لما نزلت البلاءات عملت إيه يا فرعون، لما نزل " الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ"الأعراف:133، عمل إيه ما إعرفش يعمل حاجه، إعترف إن هو ما عرفش يعمل حاجه، ده كانوا كل مرة بيروحوا لسيدنا موسى يطلبوا منه "ادْعُ لَنَا رَبَّكَ"، كانوا يطلبوا منه أنه يدعُ ربنا "بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ" الأعراف:134، يا أيها الساحر إدعُ لنا ربك بما عهد عندك، يعني بيقولولوا إطلب من ربنا يشيل ده، يعني ده إنتوا عارفين أنه ربنا اللي بيفعل اللي بيملك النفع و الضر.

كيف لا تخشعوا لله وأنتم تعلمون أنه خلقكم

" هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ"، أي فآمنوا به ووحدوه سبحانه وتعالى " لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ"، يعني إيه تؤفكون، الإفك يعني إيه؟ الإفك الكذب، ده مش بس الكذب ده قلب الحقائق، فكلمة تؤفك يعني إنسان مأفوك مأفوك يعني إيه يعني واحد قلبله دماغه، واحد ضحك عليه و مش بس ضحك عليه، ده قلبله دماغه فكلمة " فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ"، إزاي إتقلبلكم دماغكم للدرجه دي، مين اللي إستطاع إنه

يضحك عليكم، لدرجة أنه يقنعكم أن لا تعبدوا الخالق، مين اللي قدر يبعدكم عن ربنا، يعني كلمة "فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ"، زي ما يكون فيها تعجب، إزاي ما تخشعش لله اللي بيملك الرزق، إزاي ما تسجدش لله اللي بيملك الرزق.

كثرة تقلبات الحياة لا يجب أن تنسيك أنه لا إله إلا الله

تخيل إنسان عاصي ما بيصليش و يجيله مرض خطير، لما تشوفه وهو قاعد عند الدكتور وكأنه بيستغيث بأي علاج، طب إنت إزاي ما تسجدش لله، إزاي الحقائق عندك إنقلبت إنك تستغيث ببشر وما تلجأش لرب البشر، إزاي و إنت عارف لو سألته مين اللي خلقك يقول لك ربنا، مين اللي بيرزقك يقول لك ربنا، هذه الحقائق تضيع، لذلك إنت يوميًا يستحب إتم تفكر نفسك 100 مره الصبح و 100 مره بالليل تقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، طب ما أنا عارف هذه الحقيقة بتضيع في زحمة الحياة، كثر الأسباب و التغيرات و التنقلات و الابتلاءات تضيع الحقيقة دي عند الإنسان فلازم يفكر نفسه، أنا ليا رب واحد أعبده يملك كل شيء له الملك وله الحمد على كل شيء قدير، الجأ إليه، أستعين به، أستعيذ به سبحانه وتعالى، فأنى تؤفكون إزاي أنه ممكن أبسط و أوضح و أقيم الحقائق تضيع من الإنسان، أبسط الحقائق واضحة، سهلة، حقيقة مهمة أعلى حقيقة في الوجود أحق كلمة، أحق ما قال العبد إزاي ممكن الإنسان يؤفك عنها، إزاي ممكن يضحك عليه الإنسان، إزاي ممكن إنسان ما يسجدش لله "فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ".

تعزية الله سبحانه و تعالى لنبيه –صلّى الله عليه وسلم–

فربنا بقول للنبي –صلّى الله عليه وسلم– يعزيه، زي ما الإمام أبي قتادة بيقول يعزي ربنا نبيه –صلّى الله عليه وسلم–و إن يكذبوك، هذه الحقائق تخيل في ناس بتكذبها " وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ"فاطر:4، ومش بس كده يعني سياق الآيات فيه تعزية، إذا كان أعرضوا عن نعم الله وكفروا بالله أكيد هيعرضوا عن الإنسان و البشر، عن النبي –صلّى الله عليه وسلم–، يعني لك في الله أسوة، " وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ"، المشركين الإمام الطبري هنا بيقول أن المشركين كذبوا النبي –صلّى الله عليه وسلم–، حفاظًا على الرئاسة، و حفاظًا على الزعامة، و حفاظًا على المال، زي ما هتيجي " فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا"، فربنا بيقول لهم" وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ" مصير الأمور و مآلات الأمور بيد الله، فلا يمكن الإنسان يعيش مطمن إلا لما يلجأ إلى الله، إنت ما تعرفش الأمور فيها إيه بكرا، الله عز وجل إليه ترجع الأمور يدبر الأمور كيفما شاء سبحانه وتعالى، الله يقلب الأشياء سبحان وتعالى، يفعل ما يشاء في ملكه.

لا تظن أن الله غافلًا عما يعمل الظالمون

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ"فاطر:5، قيل إن وعد الله العذاب الدنيوي، يا أيها المشركون الذين تماديتم في الغي، وتماديتم في الضلال، و أعرضتم عن النبي –صلّى الله عليه وسلم– مستندين إلي قوتكم و رئاستكم و زعامتكم، إعلموا أن وعد الله حق وقد كان في بدر، قيل إن وعد الله حق، العذاب الدنيوي، و قيل المقصود به بدر

" فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا" مش معنى إن ربنا يمهل أن يهمل " وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ"هود:102، يبقى مش معنى أن ربنا سايبك تتمتع بالدنيا أنه يهمل، لا أبدًا " فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا" و قيل "إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ"، أي في الآخرة، مش معنى إنك عشت الدنيا طول بعرض، إنك لما تموت مش هتتعذب.

إحذر أن يكون الشيطان قرينًا لك و أنت لا تشعر

"فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ"، هنا ربنا ذكر أن فيه حاجتين بتضيع الإنسان، "فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ"، قيل المقصود "فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا"، نفس الإنسان تزين له الدنيا، " وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ"، الغرور ده المقصود به إيه الشيطان، الغرور إللي هو الشيطان فقالوا فيه حاجتين تضيع الإنسان، نفسه التي تزين له الدنيا و الشيطان اللي يزين له الأشياء القبيحة، و يزين له المعاصي، "فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا"، الغرور إعتقاد في الشيء فوق أو أقل من قيمته ما يعطيش للشيء قيمته الحقيقية، الشيطان و النفس يعطون الدنيا قيمة فوق قيمتها، "فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا"، يعني كأن السبب الرئيسي لضياع الإنسان كثرة الإنشغال بالدنيا و البعد عن الدار الآخرة، السبب الرئيسي لضلال و نسيان الحقائق اللي ذكرت في أول السورة، الله فاطر السماوات، الله خالق، الله رازق، الله يفعل ما يشاء، الله يزيد في الخلق ما يشاء، هذه الحقائق كثرة الإنكباب على الدنيا و البعد عن الدار الآخرة تنسي الإنسان هذه الحقائق، ما عندوش وقت "وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ" الزخرف:36، اللي هيتعامى عن إنه يذكر كلام ربنا "وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ"، قالوا القيض ده قشر البيض اللي بيلتف حوالين الحيوان، فكأن الشيطان يلتف حوالين الإنسان زي القشرة كده، يعمل قشرة كده حواليه تخليه ما عادش يشوف حاجه، "نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا"، يبقى ملازم له "فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ" ، و هيفضل يصده " وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ"الزخرف:37.

الشيطان يترصدك دائمًا فإستعذ بالله

"فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ" ، غرض الشيطان إنك تبعد عن ربنا، يعني الشيطان مركز دايمًا، النفس ممكن تزين ليك أشياء كثير، إنك تبعد عن الناس، تبعد عن الطاعة، الشيطان مركز إنك تبعد عن ربنا زي ما قلنا في بداية سورة الجن "وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا"الجن:4، دروس إبليس كلها على ربنا، بيقول كلام شرك على ربنا، دروس العقيدة اللي بيديها كلها مركزة، فهنا "وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ"، الشيطان مركز إنه يخليك تتغير، " يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ" الإنفطار:6، إنك تكون مغرور بالله، إنك ما تخافش من ربنا، إنك تعمل معاصي و ما تخافش من ربنا، ده غرض الشيطان، " إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ" فاطر:6، تخيل المعلومة دي تستحق التأكيد، عشان إنت تتعامل تعامل المنكر لها، أفعالك اتخذت الشيطان صديق، تأكيد " إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ"، و كلمة لكم يعني مركز معاك قاعد لك ليك، النبي –صلّى الله عليه وسلم– يقول " إِنَّ الشيطانَ قَعَدَ لِابنِ آدمَ بِأَطْرُقِهِ ..." صححه الألباني، فكلمة لكم دي خصيصًا لك، كل واحد معاه الشيطان بتاعه، بيدرسه دراسة عميقة، عارف إنت

الضعف اللي عندك فين، سواء في المال، في النساء، في المناصب، هو عارف بيخشلك منين " إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ" بينتظر كل فرصة ليفترسك، يهجم عليك، قاعد زي ما بيقولك قاعد لك "لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ" الأعراف:16، هو قال كده.

إجعل الشيطان عدوك كما أمرك الله

"إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ" فربنا قال نعمل معاه إيه ؟ ما نسامحوش " فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا" ، إتخذوه قالوا فيها التكلف، فإتخذوه عدوا إنت لازم تفكر نفسك دايمًا بأساليب الشيطان، فيه ناس شايله الشيطان من حساباتها، يعني عايشه الحياة عادي، يعني ممكن رجل بإمرأة النبي –صلّى الله عليه وسلم– بيقول " لا يخلُوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ فإنَّ الشَّيطانَ ثالثُهما" حديث ثابت عن عمر بن الخطاب، هو عادي مش مستحضر أن الشيطان ممكن يخليه يسرق، و أن الشيطان ممكن يخليه يزني، و أن الشيطان ممكن يخليه يطلق البصر، هو مش مستحضر ده فعادي سايب نفسه مع الشيطان، هيتحول بعد فترة إلي جند من جنود الشيطان زي ما هو " إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ"، " إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا"، لازم قالوا أعلى صور إتخاذ العداوة مش بس بعدم الطاعة، بالعبادة بعبادة الله، وظيفة الشيطان بيعمل إيه؟ " إِنَّمَا يَدْعُو"، ودي إتكلمنا فيها، آخر الشيطان أنه يدعو هو يسلط عليك مش هيجبرك قصرًا على المعصية، هو بيقول كده في خطبته في النار" وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي"إبراهيم:22، أنا كان دوري إيه الدعوة.

إن الشيطان يستدرجك فإنتبه

في دعاه إلى الحق، و في دعاه إلي الباطل، الشيطان رئيس الدعاه إلي الباطل، إنما يدعو الدعوه دي منمقه، بيستعمل فيها أساليب الدعوه، يعني هو بيقدم لك دعوه، تخيل كده ظرف جيلك دعوه كده، زي بتاعت الأفراح الدعوه دي حقيقتها إيه؟ آخرها إيه؟ أخرها النار " إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ"، عايزك تبقى ملازم للسعير، صاحب للسعير، يعني غرض الشيطان معاك الكفر، لكن بيجبهالك في صورة دعوة، طبعًا هي ما بتجيش في جواب و تفتحه يدعوكم إبليس إلى الخلود معه في جهنم لقضاء أمتع الأوقات، هو ما بيجبهاش كده، طبعا بيجيبها تدريجي، يزين زي ما هنشوف دلوقتي، أفمن زُين له، يبقى الشيطان بيستعمل الدعوة، يجيبك خطوة الشيطان ممكن يحط خطة على مدار عشر سنين عشان شخص طائع يقع في الزنا، عادي عشر سنين يصبر ماعندوش مشكلة، فلازم الإنسان يحترز، يبقى فاهم أن في عدو متربص له.

ما معنى الحزب ؟

"إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ" خذ بالك من الدعوة دي، كأن كل اللي بيسمع كلام الشيطان هو بيقف في جند أهل الباطل هو لا يشعر، أصبح الحزب يعني إيه؟ الحزب المجموعه المتكاتفة

المتضامنة مع بعضها اللي ليها قائد، و ليها منهج ده يتقال عليه حزب، لما مجموعه متكاتفة ليها قائد و منهج ده يتقال عليه حزب، تحزبوا تجمعوا، في حزب الله، وحزب الشيطان، حزب الله دايمًا جت مرتين في القرآن المرتين مع آيات الولاء و البراء، سورة المائدة و سورة المجادلة، لما نطبق الولاء و البراء صح يبقى هنتجمع مع بعض صح، يبقى هيتكون حزب الله الحقيقي ، مش الضال اللي موجود اللي بيدعى ذلك، المقصود هنا الشيطان إبليس و الرسل بتاعته، فالشاهد إنما يدعو حزبه، يعني الإنسان اول ما الشيطان بيتكلم معاه و بجيبله المعصيه بيعصلج شويه شويه خلاص بيبقى عادي تبعه، بيبقى مطيع، خلاص بيبقى في الحزب بتاعه، داخل في الحزب بتاعه، فكلمة حزبه المقصود بيها حاجتين، إما الإنسان يكون في جند أهل الباطل هو لا يشعر، إنضم لجهد أهل الباطل، يحارب الدين و هو لا يشعر، أو أصبح سهله بعد ممانعه خلاص أصبح من حزب الشيطان، ليكونوا إيه من أصحاب الملازمين لجهنم و ده غرض الشيطان.

التربية النفسية للداعية و كيف يصبره الله على الدعوة

"الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ " فاطر:7، أي الذين أطاعوا الشيطان "وَالَّذِينَ آمَنُوا" بالله سبحانه وتعالى، كلمة آمنوا هنا مع السياق، أي آمنوا بما ذكر في أول السورة، أي آمنوا أن الله فاطر السماوات و الأرض، أن الله الخالق، أن الله يرزق فلا إله إلا هو، آمنوا بالقدمة دي، "آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ"، ضموا العمل الصالح إلي هذا المعتقد، أكيد هيغلط هيقع مع الشيطان في حاجات "لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ"، الناس بينقسموا نوعين "أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ" فاطر:8 ، دي من الآيات اللي إحنا بنسميها التربية النفسية للداعية، الداعية في مجال الدعوة بيشوف حاجات قد لا يستطيع أن يصبر عليها، ممكن يموت غمًا بسببها، يحتاج إلي كلمات من الله يصبر نفسه بها.

أعلى أنواع الضلال من ضل و يظن أن عمله حسنا

يا جماعة القرآن النبي –صلّى الله عليه وسلم–، كان بيحتاج أن يسمع القرآن، لما الكفار قالوا " لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً" الفرقان:32، ربنا قال إيه " كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ"، أي بالقرآن، النبي –صلّى الله عليه وسلم– كان يحتاج للقرآن حتى يثبت، فالكلمات دي بيحتاجها العالملين لدين الله، لأن النبي –صلّى الله عليه وسلم–، بما أن خير البشر إحتاج لهذه الكلمات، كلمات الله عز وجل فالدعاه كمان، فربنا بيقول لك إنت أحيانًا تتعجب، بعد المقدمة الواضحة دي، في ناس تمشي ورا الشيطان، في ناس تختار الطريق ده، فربنا بيقولك لك ده التزين، ده مش بس بيمشي، ده بيمشي بيعتقد أنه على الحق، فما عادش يسمع نداءات الدعاه مهما تنادي عليه هو مش عايز يلتفت، يحسبون أنهم يحسنون صنعا ده أعلى درجات الضلال، إن كل ما يزود يفتكر نفسه كويس، كل ما يدخل في الضلال أكثر، دي أعلى درجات الضلال، يعني واحد يعمل معصية و نفسه بتلومه ده ممكن يرجع، تخيل بقا اللي مزين له عمله، فربنا جاب للنبي –صلّى الله عليه وسلم– أعلى أنواع الضلال، عشان ما يزعلش عليه.

إحذر أن ترجع إلي الضلال بعد أن هداك الله

"أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ" سواء التزين من الشيطان أو من الله، " أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا"، فربنا بيقول للنبي –صلّى الله عليه وسلم–، زي ما فيه تنوع في الخلق و فيه تنوع في الرزق و دي بدايات بقا السورة، كذالك في تنوع بين الناس في الإيمان و الكفر، دي سنة زي ما ربنا قال في سورة الأنعام قال خلق السماوات و الأرض، قال جعل الظلمات و النور، زي ما في سماء و في أرض، في ظلمات و في نور ، و في ناس هتختار الظلمة و في ناس هتختار النور، لكن ربنا بيضع آيات بينات بحيث أن الإنسان يختار على بصيرة، "لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ " الأنفال:42، فربنا بيقول" فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ" سبحانه و تعالى، بحكمة بعد أن بين له، ربنا سبحانه و تعالى بيقول وما كان الله و ده فهم آيات القرآن مع بعضها " وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ" التوبة:115، أي يضلون بعد أن هداهم، و بعد أن بين لهم كيف تقون هذا الضلال، يعني ربنا وراهم حاجتين، وراه الطريق الصح و عرفه طريق الباطل عشان ما يمشيش فيه، و إختار الباطل هو، طب اللي يختار طريق الباطل بعد كده ربنا يعمل معاه إيه، في سنة تانيه جت سورة النساء " وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ" النساء:115، إمشي، ربنا ييسر له هذا الطريق إنت إخترت الطريق ده خد، و يمد له مدًا في ذلك، عايز تمشي في طريق الضلال خد معاصي، هو إختار "وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ" ساب الدنيا و ساب المؤمنين.

من يبحث عن الشبهة هو يضل نفسه

زي مثلًا من الحاجات العجيبة جدًا اللي عامله قلق اليومين دول قضية رجم الزاني المحصن، فألاقي واحد بيقول لي أصل فلان الفلاني بيقول مافيش رجم، فأنا بتعجب بيقول و هو نفسه الشخص اللي عنده الشبهة ده بيقول هو عارف أن في آثار، و فيه أكثر مما يقرب من 23 حديث صحيح في الرجم، وأن البخاري و مسلم و داوود و الترمزي و الأئمة الأربعة، أبو حنيفة و مالك و الشافعي، و أحمد بن حنبل، وكل العلماء و إجماع العلماء و ألوف مألفة من العلماء قالو فيه رجم، و بعدين يقول إيه أصل فيه فلان الفلاني بيقول مافيش رجم، طب هو بيدور على شبهة، يعني هو واحد عايز يفتن، طب إنت خلاص هتعمل إيه، إنت لا تملك لك شيئًا هو ترك ألوف مألفة من العلماء المجمعة على مسألة في الشريعة، و بعدين هيفتن بواحد متأخر بعد كل هذه الإجماعات، طب إنت خلاص هتعمل معاه إيه، خلاص هو طالما فتن في أوساط أصلًا فتنة هو اللي حط نفسه فيها، الشاهد فإن الله يضل من يشاء بعد أن يبين له، قال الله عز وجل " وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا" الإسراء:15.

صفات الداعية يجب أن تكون كذالك

"فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ"، تخيل النبي –صلّى الله عليه وسلم–، كأن المعنى فلا تذهب نفسك خطاب للنفس، كأن النبي –صلّى الله عليه وسلم– لو ساب نفسه من غير،

طبعًا ده مش هيحصل، ولو حرف الإمتناع للإمتناع، النبي –صلّى الله عليه وسلم– كأنه لو ساب نفسه ممكن يموت غمًا و حزنًا على المشريكن، شوف الرحمة، شوف الرحمة فعلا "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" الأنبياء:107، النبي –صلّى الله عليه وسلم– من شدة حرصه على إيمان الناس يكاد يموت من الغم و الحزن عشان الكفار يسلموا، مش عشان الكفار ربنا ينتقم منهم لا عشان الكفار يسلموا، بعد أن آذوه و أعرضوا عنه، دي صفات الداعية اللي ربنا يفتح عليه أنه يمتلأ قلبه رحمة للناس، أنه قلبه يبقى مليان رحمة، نفسه الخير يوصل لكل الناس، لدرجة أنه هيموت عشان الخير يوصل، لكن لازم فيه ضوابط، ولازم فيه حد معين، ولازم أخذ للشرع مع القدر "فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ".

تبين لنا الآيات كيف تكون بداية الإنحراف

السلام عليكم ورحمة الله و بركاته، الحمد لله وحده و الصلاة و السلام على من لانبي بعده محمد –صلّى الله عليه وسلم–، كنا نقول أن زي ما فيه تنوع في الخلق، و زي ما قلنا من ملامح هذه السورة، سورة فاطر التنوع في الخلق، مش بس التنوع في الخلق، التنوع في الرزق، وأيضًا التنوع في الهداية عند الناس، سواء أقسام المؤمنين أو الكفار، التنوع أن فيه ناس مؤمنين و فيه ناس كفار، و أن ربنا سبحانه وتعالى وضع فروقات بين الإثنين، زي ما هجيلنا ان شاء الله أنه لا يستويان أبدًا، لا يستوي الأحياء ولا الأموات زي ما هيجيلنا ان شاء الله و إحنا ماشيين مع بعض في السورة، فهنا ربنا سبحانه و تعالى في أول بديات اللي بتعرفنا إزاي بينحرف الناس، جاب مسألة الغرور بالحياة الدنيا، الغرور بالشيطان، وأن الناس بعض الناس لا يتخذ الشيطان عدو، لما مشي في السكه دي بعد عن الدار الآخرة، و مشي ورا الحياة الدنيا، و مشي ورا الشيطان، فخلاص وقع في الفخ، فأصبح يزين له سوء عمله.

من يعرض عن سماع آيات الله يضله الله

يبقى كلمة " أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ" جت بعد غرور بالحياة الدنيا، و الغرور بالشيطان، فده طريق هو إختار أنه يمشي فيه يبقي اللي بيوصل لمرحلة "أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ"، هو إختار الطريق ده، يعني ده بيبقى عقاب في النهاية، واحد بقاله فترة تأتي له الآيات يعرض عنها، مش عايز يسمع، مش عايز يسمع قرآن مش عايز يسمع وعظ، مش عايز يسمع كلام ربنا، مش عايز يحضر جنازة، مش عايز يتدبر في الموت، هو مش عايز يسمع عن ده، فبيقد فترة بعيد، يبعدو يبعد و ياما ربنا يحفظنا جميعًا، ياما الواحد شاف ناس إبتعدت و ضلت، و بعد ما كانت يعني بتدافع عن الدين أصبحت تطعن الآن في الدين، أصبح يعتقد أنه كده على الحق، فده أصبح سوء عمله شوف التعبير القرآن" أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ" هو شايفه مش فيصبح، "فَرَآهُ حَسَنًا"، شايف اللي بيعمله كويس تخيل واحد شايف اللي بيعمله كويس، كلما يزداد في اللي هو شايفه كويس يزداد ضلال، فده أكثر واحد ممكن تزعل عليه، إن هو عمال ماشي في طريق الضلال و إنت عمال تنادي عليه، وهو مبسوط و ماشي، فربنا بيقول لك.

الله يعلم كيف وصل من يحارب الدين لهذه المرحلة

" فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ"، الداعية يحتاج إلي مثل هذه الآية أنه ممكن فعلًا أنه لو ما فهمش أن ده بترتيب ربنا عقله يطيش، يموت من الغم و الحزن عليه، فربنا بيقول النبي –صلّى الله عليه وسلم–" فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ"، وده بيبن لك أد إيه شرف نفس النبي –صلّى الله عليه وسلم– و شدة رحمته –صلّى الله عليه وسلم– بالخلق، "إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ"، ربنا يعلم كويس جدًا هما بيعملوا إيه، و إزاي وصلوا للمرحلة دي، وإزاي هو يستحق، و مش كلمة عليمٌ بما يعملون، عليم بما يصنعون، بيقولوا أن الصنعة زيادة في الفعل، أصبح الموضوع بالنسبة له فيه مهارة و تكلف و بيكسب من وراه، و ده حربه ضد الدين ربنا يعلم كويس جدًا هو بيصنع إيه اللي خلاه يوصل لهذه العقوبة ربنا عليم به.

لماذا آتت هذه الآية خروجًا عن سياق الآيات

آية بقا عجيبة تيجي في النص في وسط السياق، يعني خلت كثير من المفسرين يستغرب و قعد يدور الواو بتاعت و الله، الواو دي عطف على إيه؟ يعني إنت لو شلنا الآية دي ظاهريًا من الآيات، " إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ"، "مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا" تحس أن السياق ماشي، فجأة آية بتتكلم عن موضوع غريب جدًا في الوسط " وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ"فاطر:9، حاجه في الكون، و الرزق تاني، "وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ"فاطر:9،و بعدين نرجع تاني لسياق المشركين اللي إبتعدوا عن الطريق إيه أسباب بعدهم عن الطريق، أسباب بعدهم عن الطريق الدنيا، الشيطان، السبب الثالث إرادة العزة، الخوف على المركز أكثر شوية بيخلي المشركين يبعدوا عن طريق ربنا، و خلا الناس تبعد إرادة المنصب و العزة، خايف أن الدين يضيع منصبه، خايف أن الدين يضيع الحاجه اللي هو وصلها، عايز يعش في رفعة شايف المسلمين مستضعفين، وواقع سورة فاطر بردو واقع إستضعاف زي سورة سبأ، فبيظن أن لو راح للدين أن هيُزل فممن كان السياق، إيه علاقة الآية دي تيجي في النص، لدرجة بعض المفسرين أو كثير من المفسرين قال الآية دي معطوفة الواو دي "وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ" معطوفة على قول الله عز وجل" مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ" الآية بتاعت الأرزاق عشان عايز يوصل آيتين ببعض عن الرزق.

الأمطار شبهها الله بالدعاة في الأرض

لكن في معنى لطيف جدًا هنا في الآيات، كما أن الله عز وجل أرسل الرياح بقدرته المطلقة، و هذه الرياح بتدبير من الله أثارت السحاب دفعت السحاب، فساق الله السحاب الي الأرض الميتة فأنزل ماء على هذه الأرض فأحياها، كذالك الله عز وجل يرسل الرسل فيستثيروا الناس و أهل الخير، فينشرون الخير في الأرض فتحيا القلوب الميتة، نفس الترتيب، و خد بالك من كلمة " فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ"، زي ما ربنا سبحانه و تعالى يعلم إيه البلد إللي محتاجه و يخلي السحاب يساق إلي أن يصل إليها، ربنا بيسوف الدعاه سوقًا الي أرض الميتة، وكما أن هناك أرض

تنزل عليها الماء الطيب و لا تنت شيئًا لأنها أرض خبيثة، كذالك هناك من الناس، من ينزل على قلوبهم من كلام الله عز وجل و كلام الدعاه، و كلام الأنبياء لا يؤثر فيهم، فلما تستحضر أن ربنا بيقول لك، "إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ" لقد بغلتهم كما أني أرسلت السحاب إلي الأرض الميتة، أرسلت إلى هؤلاء من يدلهم و لكنهم أعرضوا، "فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ".

يجب أن يعلم الداعية أن الله يؤيده

يعني ربنا سبحانه و تعالى يا جماعة قضية الدعوة، معاه معية ربنا، "وإِنَّ اللهَ يؤيدُ هذا الدينَ بالرجلِ الفاجرِ" صحيح مسلم ، الداعية لما يستحضر المعنى ده أنه مؤيد أنه مسدد، أنه موفق، ربنا يبسوق الداعية المخلص لمكان لو قعدت مع الدعاة تسمع منهم، تسمع قصص معجزات و كرامات، تسمع كلام عجيب إزاي ربنا رتب، و تسمع قصص التائبين، تسمع عجائب، إزاي ربنا رتب أن الداعية يروح في المكان ده، أو إزاي إن واحد يشغل قرآن في المكان ده ففلان يسمع الآية، وإزاي فلان كان بيقوم الليل في اللحظة اللي فلان كان رايح يسرق فيسمع الآية، قصص أعاجيب، كيف ساق الله عز و جل كلام الدعوة أو الدعاة إلي القلوب الميتة، كذالك كيف ساق الله عز وجل السحاب إلى الأرض الميتة، الآية دي بردوا في سورة الأعراف " حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا" الأعراف:57، أول لما السحاب يبقى مليان ميه، ربنا بيسوقه سقناه، كذالك لما الداعية بيتملى و بيبقى عنده الخير سقناه، إذا هو سعى و أخذ بالأسباب، سقناه لبلد ميت، و هنا إلي بلد ميت.

دورة الداعية هو إستثارة الخير في الناس

و الله هنا بردوا قالوا شيء عجيب جدًا في الآية، قالوا كل الأفعال بصيغة الماضي ما عدا فعل يثير، "وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا" كلها صيغة الماضي و كأن أشهر فعل اللي لازم تستحضرة دايمًا الفعل المضارع من معانيه في اللغة لإستحضار السورة، كأنك لسه شايفها دلوقتي، فأكثر فعل في الآية كأن الآية بتركز عليه عشان تستحضرة قدامك مشهد إثارة الرياح للسحاب، وكان ده أهم دور للرسل و الدعاة، إثارة الناس اللي عندها خير عشان تتحرك في الأرض و تنشر الخير في الأرض، إستثار السحاب فحرك السحاب، فالسحاب لما إتحرك نشر الخير في الأرض، النظارة اللي قام بيها النبي –صلّى الله عليه وسلم–، في أول لحظة وقف على الجبل قال أني نذير لكم، بيستثير ما عند الناس و الفطر الطيبة " نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ" سبأ:42.

الله سبحانه و تعالى يسوق الداعية لهداية الناس

"فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ" من الآيات المريحة جدًا للداعية دي بعد آية "فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ" كلمة سقناه أنت بتساق في الدعوة، إنت بيترتب لك، يرتب لك من حيث لا تدري، فالداعية بيطمئن لمثل هذه الآيات، فلله عز وجل سنن في الكون، و لله أيضًا سنن في الأمور المعنوية، كما أن له سنن في الأمور المادية كذالك له

سنن في الأمور المعنوية، في قضايا الإيمان له سنن سبحانه و تعالى، زي ما إتكلمنا عن سنة نوله ما تولى، أيضًا هنا أن الداعية يرتب له ويساق إلي الأرض الميتة إذا هو سعى و كان عنده الحرص و الرحمة زي اللي كانت عند النبي –صلّى الله عليه وسلم–، الرحمة للناس، و إنه يريد أن ينشر الخير للناس "فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ"، كذالك كلام الله عز وجل، يحي الله عز وجل به القلوب، فأحيينا به الأرض بعد موتها فيه أمل، حتى لو إنت قلت اللي قدامك ميت، كافر، ضايع فيه أمل، " فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ".

لمن يبحث عن العزة العزة لله وحده

أيضًا كما أن الله عز وجل أرسل الرياح و أحيا بالسحاب الأرض الميتة، أرسل الرسل و أحيا بهم القلوب الميتة كذالك يبعثهم يوم القيامة ليحاسبهم "مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا" فاطر:10، بعد التوضح و بعد بيان سنن ربن سبحانه و تعالى و قدرة ربنا المطلقة ربنا بيقول لهم، "مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا"، زي ما قلنا العرب كان عندهم أنفة و عزة فكان خايف أن الدين يسحب منه العزة دي، فكان من أكثر الأسباب اللي منعاه من دخول الدين و الخضوع لله سبحانه وتعالى، فربنا بيقول له العزة الحقيقة لله، "مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا"، مش فلله العزة جميعًا، فالتقديم ده يفيد الإختصاص أي له وحده سبحانه وتعالى، " فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا"، أي نوع من أنواع العزة هو عند ربنا يملكها الله وحده سبحانه وتعالى " فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا".

سبب إختلاف المفسرين

طيب نفسر الآية دي و نختم بس عايزكم تركزوا لأن الآية دي فيها خلاف كثير" إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ"، قلنا المرة اللي فاتت من أهم أسباب إختلاف المفسرين بيختلفوا في حاجه إسمها إيه، الضمير بيعود على إيه، كلمة يرفعة هي اللي عملت خلاف بين المفسرين، تقريبًا على خمس ست أقوال، يرفعه إيه الفاعل و الهاء دي إيه، كلمة يرفعه دي جملة متكامله، كلمة يرفعه دي فعل و فاعل و مفعول به، فعل يرفع الفاعل ضمير مستتر، الهاء مفعول به، لو فسرنا كلمة يرفعه، على حسب تفسيرها على حسب ما إختلف المفسرين، معايا ، طيب.

تفسير القول الأول

" إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ"، إحنا الأول نقول قالوا معاني إيه، أو قالوا الضمائر دي بتعود على إيه، و بعدين نقول معاني الكلام ده إيه " إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ"، بعض العلماء قال زي الإمام الطبري و بن كثير، قال و العمل الصالح يرفعه أى يرفع الكلم الطيب، فالفاعل بتاع يرفع إيه العمل الصالح،و الهاء بتعود على إيه على الكلم الطيب، يبقى بيقولوا أن معنى الآية، إليه يصعد الكلم الطيب و العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، وضحت كده، طيب نقول كل قول بمعانيه، طب معنى ده إيه، قالوا الكلم الطيب ذكر الله، إنك تذكر ربنا، و العمل الصالح إنك تذكر ربنا و إنت بتعمل الأعمال الصالحة، يعني تذكر باللسان و تضيف للكلام أعمال مش بس بتتكلم

و خلاص، فمعنى الآية أن لو أضفت للذكر عمل صالح الذكر يرفع، بمعنى إيه بمعنى أن المنافق يذكر و لا يفعل، يعني بيتكلم بيقول كلام الإيمان لكن ما عندوش أعمال صالحة، فأعماله لا ترفع، لذلك اللي إختاروا القول ده قالوا إن معنى و الذين يمكرون السيئات أي المرائون، أن فيه ناس تتكلم بكلام ظاهره طيب لكن لا يعملون أعمال صالحة، هؤلاء لا يرفع لهم هذا الكلام، و لايقبل منهم و لا يقبل لهم عمل صالح، فهمنا القول الأول و لالا؟ يبقى القول الأول اللي أن الكلام الذكر محتاج عمل عشان يقبل، و قالوا طب لو إنسان عاصي قال سبحان الله وبحمده ما تقبلش منه قالوا لا تقبل منه، المقصود هنا المنافق المرائي اللي بيقول قدام الناس كلام طيب لكن ما بيعملش أعمال صالحة، فالكلام الطيب ده لا يقبل منه، زي مثلًا واحد ظاهريًا قدام الناس يأمر بالمعروف و ينهي عن المنكر يقول له ده كده حرام و من ورا الناس يمكر السيئات ويفعل السيئات، الأمر بالمعروف ده ما يتحسبلوش في الأعمال مع أنه كلام طيب أهو ما يتحسبلوش في الأعمال الصالحة، معايا ده قول.

المعني الثاني للآية

قول ثاني، قال "إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ" قال الكلم الطيب المقصود بيها هنا لا إله إلا الله، "وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ"، العمل الصالح يرفع لا إله إلا الله لو ضُم إلى لا إله إلا الله عمل صالح تزداد في الرفعة، بعضم قال لا "إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ"، و العمل الصالح يرفعه الذكر، يعني يرفع الذكر العمل الصالح عكس الأولاني، خلا الفاعل الكلم الطيب، و خلا العمل الصالح مفعول به، طيب يبقى معناها إيه؟ قالوا أن الكافر لما يعمل أعمال صالحة لا تقبل منه لأن ما بيقولش لا إله إلا الله إللي هي الكلمة الطيبة، و إن عشان العمل يترفع لازم يبقى فيه كلمة طيبة اللي هي إسمها إيه لا إله إلا الله ده المعنى الثاني.

المعني الثالث للآية

قالوا "إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ"، الكلم الطيب ده الدعاء، الكلم الطيب المقصود به دعاء المؤمنين المستضعفين يارب إنصرنا، في ظل إحنا قلنا الآيات في مشركين، المشركين زين لهم سوء أعمالهم، "إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ" بيصنع و بيجاهد ضد الدين، و بيكسب فلوس من ورا ده لأن بقت صنعة بالنسبة له، أهل الإيمان يعملوا إيه ضد الهجمة الشرسه دي، يدعوا ربنا، بعد دعوة المشركين لازم يبقى فيه دعوة و جهاد، لازم يبقى فيه قرآن و سيف، فهما دعوا إيه آية الدعوة هنا، "وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا"، هيرواحوا للأرض الميتة و يكلموهم عن ربنا، ما أمنوش يبدأوا يدعوا ربنا أن ربنا ينصرهم، "إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ" اللي هو إيه الدعاء، لكن لابد أن يضم إلي الدعاء أخذ بالأسباب و عمل صالح والعمل الصالح يرفعه يعني يرفع أهل الإيمان يخليهم يرتفعوا، و يكونوا في عزة على أهل الباطل، لو إكتفى أهل الإيمان بالدعاء فقط مش هيرتفعوا على أهل الباطل معايا، إلا لو ده آخرهم إلا لو ما قدامهمش غير الدعاء ربنا يرفعهم، يعني لو ما فرطوش في الأسباب ربنا يرفعهم، لكن لو فرطوا في الأسباب،الدعاء ده يُقبل منهم لكن مش هيرفعوا على أهل الباطل، يعني الدعاء كدعاء يُقبل منهم عشان كده إليه إيه يصعد، هيصعد الدعاء، لكن لن يرفعوا مش هيبقوا أعزاء في الدنيا عليهم لأنهم فرطوا في الأخذ بالإيه بالأسباب.

القول الرابع و الأخير

"إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ"، الدعوة إلى الله و ده أحد المعاني اللي ذكرناها قبل كده، "وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ"، و العمل الصالح يؤيده، إن ما ينفعش أفعالك تخالف كلامك، "وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ"هود:88 ، لازم عشان كلامك يبقى طيب و مقبول عند الناس و ترفع، لازم تضم فعل و عالم بعلمه لم يعمل معذب في قبره قبل عباد الوثن، بيت شعر مشهور، أن الإنسان لازم " أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" البقرة:44 ده مجنون، يبقى "إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُه".

كيف نواجه من يمكرون لهدم الدين؟

"وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ" اللي بيخططوا بقا لهدم الدين ،"لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ" الآية دي جميلة أوي، لو قلنا أن الكلم الطيب دعاء، و مكر السيئات المكر ده اللي بيستخبى، فمشهد الكفار عمالين يخططوا، و مشهد المؤمنين عمالين يعملوا إيه عمالين يدعوا مشهد جميل، فإن كان للرسول آلات قتال فلنا في هجعة الليل القنوت، إحنا ما قدمناش غير كده، هو قاعد بيكر و يخطط و أنت بتلجأ إلى الله تسعى بقدر ما تستطيع "وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ"، و المكر هييجلنا تاني في آخر سورة فاطر بردو، كل تخطيطهم هيضيع و من العجيب أوى هنا و ده نختم بيها إستعمال لفظة يبور، يبور دي بتيجي مع إيه ؟ مع الأرض، الأرض البور، هنجد أن مع "وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ" كأن جهد أهل الإيمان و هما بيحرثوا و يزرعوا ربنا ينميه لهم و يحي به الأرض الميتة، و جهد أهل الباطل في الآخر الأرض بتاعتهم هيحصلها إيه هتبور، يبقى ربنا هيحي الأرض الميتة لأهل الإيمان، ودي بردوا متناسقه مع "مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" فاطر:2 ، من الخير اللي بيأتي، ربنا سبحانه وتعالى يبارك لأهل الإيمان و يحرم أهل الباطل من أن أفعالهم تأتي بأي نتيجة و مكر أولئك إيه هو ضمير الإختصاص هو يبور، يعني كل أفعالهم تضيع و لن يصلوا إلي شيء، و سينصر الله عز و جل أهل الإيمان، نكتفي بهذا القدر و نسأل الله عز وجل أن يستعملنا لنصرة دينه، و أن يرزقنا فهم كتابه و العمل به أقول قولي هذا و أستغفر الله لي و لكم، سبحانك اللهم و بحمد أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك و أتوب إليك.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله وتفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36